مقومات النظام التعليمي في الحضارة اليمنية القديمة خلال الفترة من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الخامس الميلادي

رياض عبدالله عبدالكريم الفرح
نائب مدير منتدى المؤرخ محمد حسين الفرح

المقدمة:

التعليم هو أحد أهم المقومات الحضارية التي عرفتها البشرية عبر تاريخها الطويل وهو أساس التطور والتنمية، حيث يوصف بأنه نشاط إجتماعي يتم فيه نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم، كما أن التعليم هو أحد نتاجات التربية المجتمعية ودراسة مسيرة أو مراحل التعليم التي عرفها الإنسان عبر الحقب الزمنية ومراحل تطوره تأخذنا إلى مفهوم واسع لمعنى التعليم، حيث أن كل مرحلة من مراحل التطور البشري لها سماتها وخصائصها وإحتياجاتها كذلك، ففي مرحلة الإنسان البدائي الذي عرف حياة القنص والصيد لم يكن في حاجة إلى أكثر من معرفة كيفية تلبية احتياجاته الأساسية وفيها اقتضت التربية على نوع من التعليم هو التعليم بالتقليد ومع انتقاله إلى حياة الزراعة ومعرفة حياة الإستقرار نشأ نوع آخر من التعليم إقتضت فيه الحاجة إلى تربية أفراد المجتمع لتعلم الإنتاج وتعلم صناعة إحتياجاته للمواد التي يستخدمها في حرث الأرض وأدوات الري وتطويرها وهي المرحلة التي كانت فيها الحرف اليدوية هي أساس قيام المجتمع ومع تطور المجتمع ونموه نشأت الحاجة إلى وسيلة للتواصل مع محيطه الواسع ومع المجتمعات الأخرى، وهنا ظهرت الكتابة ومع ظهورها بدأت الحضارة الإنسانية تأخذ ملامحها وأصبحت حياة الإنسان تأخذ جوانب جديدة لم يكن إنسان ما قبل الكتابة يعرفها، وقد عرفت الفترة ما قبل إختراع الكتابة عند الدارسين للتاريخ البشري باسم عصور ما قبل التاريخ واصطلح على تعرف فترة ما بعد ظهور الكتابة باسم الفترة التاريخية والتي تزامنت مع ظهور الفن المعماري وبناء السدود والمعابد والقصور وحركة التجارة والصناعة المتقدمة وغيرها من الملامح، فأصبحت الكتابة في مقدمة إهتمام الإنسان لتدوين معارفه وتوثيق قوانينه التي بموجبها يتم تنظيم المجتمع وعلاقته مع الداخل والخارج، وقد عرفت الحضارات القديمة التي نشأت في بلاد الرافدين ومصر نماذج متقدمة من التربية المجتمعية وأماكن للتعليم تم الكشف عنها من خلال الدراسات والتنقيبات الأثرية، وفي اليمن القديم قامت حضارة بلغت أوج قوتها في مملكة سبأ ومعين وقتبان وأوسان وحضرموت وحمير وهي حضارة لا تقل أهمية عن الحضارات الأخرى المعاصرة في بلاد الرافدين ومصر وما تزال آثارها باقية في العديد من أرجاء اليمن وتم ذكر مآثرها في كتابات اليونان والرومان و نقوش الحضارات المعاصرة وقد توافقت تلك المعالم الحضارية في اليمن القديم مع تنامي المعرفة والكتابة والنحت والتربية الإجتماعية إذ أن أي نمو حضاري لا بد أن تكون التربية والتعليم هي مفتاحه ومدخله الرئيسي، فليس من المعقول أن تقوم حضارة في اليمن القديم دون أن يكون هناك تعليم متطور يواكب ذلك التقدم ورغبة من الباحث في تسليط الضوء على هذا الموضوع فقد قام بطرح عدة تساؤلات أو فرضيات وتمكنا من الإجابة عليها في سياق هذا البحث وهي:

1. كيف نشأ التعليم وكيف تطور.

2. ما هي ملامح التربية في الحضارات القديمة.
3. هل عرف اليمنيون القراءة والكتابة قبل الإسلام.
4. هل وجدت مدارس للتعليم في اليمن قبل الإسلام.

وعلى ضوء ذلك تم تناول الموضوع على جزئين الأول حول نشأة التعليم وتطوره منذ العصور البدائية حتى عصر الكتابة ثم أهداف التربية في الحضارات القديمة وفي الجزء الثاني تناولنا أنواع الكتابة التي عرفها اليمن القديم وأدوات الكتابة وأماكن التعليم أو الجهة المسؤولة عن تعليم الكتابة وتعليم المرأة ولمحة عن التدريب المهني.

أهمية البحث: تتمثل أهمية البحث في:

1. أنه يسلط الضوء على جزئية مهمه تميزت بها الحضارة اليمنية و لكن لم يتم تناولها بشكل مستقل، حيث تركز أغلب الأبحاث والدراسات والمؤلفات على النواحي السياسية والعسكرية والزراعية في اليمن القديم، أما جانب التربية والتعليم فيتم ذكره عرضًا
2. تركز الدراسات والأبحاث التي تتناول التعليم في اليمن على مرحله العصور الإسلامية وما تلاها من دول يمنية مستقله

وبالتالي فإن هذا البحث يحاول سد فجوة بحثيه في تاريخ اليمن و حضارته في جانب التعليمي وان ما حاولت تقديمه هو عبارة عن بحث مضني في عشرات المراجع التاريخية ونتائج بعض البعثات الأثرية التي وردت فيها بعض الإشارات إلى التعليم في اليمن القديم.

منهج البحث:

تم اتباع عدة مناهج منها التاريخي والمقارن والتحليلي وذلك بجمع كل ما يتصل بموضوع الدراسة. متمنياً أن أكون قد وُفقت في إعطاء صورة ولو جزئية لما عرفته الحضارة اليمنية القديمة من تقدم معرفي وفكري.

أولاً :عصور الحضارة القديمة:

مرت البشرية عبر تاريخها بعدة مراحل أو حقب زمنية إتسمت فيها في كل حقبة بسمات معينة تحاكي ظروف العيش وضروريات استمرارية الحياة، ومع كل عصر طور الإنسان أساليبه التربوية والتعليمية التي ينقل فيها خبراته المكتسبة إلى الجيل الناشئ وتعرف أولى مراحل الإنسان المعيشية بالبدائية أي التي عاش فيها الإنسان على الفطرة أو الطبيعة وتميزت هذه المرحلة بالبساطة وعدم التعقيد إذ كان ينحصر فيها الإحتياج على اساسيات الحياة وعرف المرحلة الأولى بمسمى العصر الحجري وتم تقسيمه إلى ثلاثة عصور هي:

1. العصر الحجري القديم: حيث شاع فيه إستخدام الأدوات التي اخترعها الإنسان الأول من الخشب أو قرن الحيوان أو العظام والصخور، كما وجدها في الطبيعة ودون أن يدخل عليها أي تعديل أو تطوير وكان يستخدم فيها الكهوف والأغصان مأوى وسكناً له.
2. العصر الحجري الوسيط: وهو العصر الذي بدأ فيه الإنسان البدائي يدخل بعض التحسينات على أدواته ويصنع منها أدوات جديدة كالحراب والسهام والفؤوس والمطارق كما أخذ الإنسان يبذل بعض الجهد لتحسين مكان إقامته باستخدام الحجارة والأغصان بعد تشكيلها.
3. العصر الحجري الحديث :وهو العصر الذي بدأت فيه ثقافة الإنسان البدائي في التقدم والنمو بخطوات أوسع وأكثر سرعة خلال الفترة التي سبقت الميلاد بعدة قرون وفيها تعلم الإنسان صنع المأوى بمهارة أكبر وصيد الحيوانات وعرف الزراعة وبعض الفنون الحرفية (محاسيس،2010،ص 97،98).

– و قد دلت نتائج التنقيبات التي قامت بها البعثات الأثرية الأجنبية (روسية، فرنسية، إيطالية، أمريكية، ألمانية) في أنحاء متفرقة من اليمن إلى أن اليمن مر بمختلف مراحل العصر الحجري، وعلى الرغم من عدم اكتمال أعمال المسح الأثري إلا أن تلك الدراسات قد كشفت أن الإنسان في اليمن القديم قد عرف تطوراً في صناعة الأدوات مثل الرماح والسهام المصنوعة من الأحجار (غالباً من أحجار الصوان حسب ما عرف بتقنية اللوفالو التي تتمثل في صناعة رؤوس مدببة وشفرات قام النحات بتشكيلها مسبقاً وتعد طريقة التقليم تلك خطوة أساسية في تاريخ تطور الذكاء البشري إذ يعد نحات الصوان حرفي يتمتع بمهار معقدة إكتسبها من خلال التعلم ويعد ظهور التشكيل على رقائق ثورة في إنتاج الأدوات) (شتكات وآخرون ، 2020، ص75). كما ألقى البروفيسور أدموند بوخنر بتصريح قال فيه: "إن اليمن من الأقطار الهامة للأبحاث الأثرية نظراً لوجود أقدم الحضارات فيها وكان في إعتقادنا في الماضي أن أقدم المراكز الحضارية في العالم هي مصر وبلاد الرافدين، أما الآن فقد اتضح أن اليمن من أقدم المراكز الحضارية في العالم"، وكون اليمن من أقدم المراكز الحضارية يعود إلى سبب وعامل رئيسي هو الإنسان، حيث دلت التنقيبات الأثرية بأن الناس قد عاشوا في اليمن طيلة عصر الباليونك وأن أجزاء واسعة من اليمن كانت عامرة بالسكان وكانت هي منطقة الثقل السكاني الحيوي الرئيسي في غرب آسيا بسبب مناخها الدافئ واضطراد مسيرة الحياة الإنسانية في ربوعها بحيث أشرق فجر الحضارة في اليمن بالإنتقال من حياة الكهوف والصيد إلى حياة الزراعة والتجمعات

والقرى الزراعية السكانية وتربية الماشية منذ القرن العاشر ق.م، (الفرح، 2004، ص27، 28).

نشأة التربية اللامدرسية في العصور القديمة:

نشأت التربية اللامدرسية أو غير المقصودة في المجتمعات البدائية عندما ظهرت الجماعات البشرية وأخذ أفرادها يقيمون علاقات ويتفاعلون فيما بينهم أثناء قيامهم بأنشطة مشتركة من أجل إشباع حاجاتهم المادية والفكرية وممارستهم لأنواع العمل والتفكير وما نجم عن ذلك من أساليب عيش وتقاليد وخبرات وتنظيمات اجتماعية عندها ظهرت أولى أشكال التربية اللامدرسية كضرورة اجتماعية لبقاء حياة الجماعة أو المجتمع كعامل للتغيير والتطوير، والتربية هنا كانت مرادفة للحياة أي لا تختلف عن عملية الحياة نفسها، حيث كانت تحدث وتقوم بصورة تلقائية وسط الجماعة ومن خلال مناشطهم المختلفة، (الحاج، 2013، ص297)، وكان الرجل البدائي يعتقد أن وراء كل قوة مادية قوة أخرى غير مادية هي القوة الروحية وتقوم الحياة في المجتمع البدائي على تقسيم بسيط وغير معقد للعمل والأدوار الاجتماعية، وهدف التربية في المجتمعات البدائية هو أن يقلد الناشئ عادات مجتمعية وطراز حياته تقليداً عبودياً خالصاً لتحقيق التوافق والانسجام بين الفرد والبيئة المادية والروحية أما وسائل التربية فهي جملة المؤسسات والنظم الاجتماعية أو المجتمع بأسره ولا تتولى هذه المهمة بالتالي أي مؤسسة تربوية مدرسية خاصة ولذا فإن أثر التربية في المجتمعات البدائية كان غير مباشر يتم عن طريق النقل الحي والمتصل للمعتقدات والعادات السائدة في المجتمع وفي معظم الأحيان يكتسب الناشئة عادات الكبار ويتمرسون بمواقفهم الإنفعالية والعقلية عن طريق الإسهام المباشر في أنشطتهم وهذا الإسهام يتم أيضاً على نحو غير مباشر عن طريق التمثيل والرقص والتقليد. أما أشكال التربية البدائية ومراحلها فتأخذ أشكالاً وصوراً عديدة فهناك الطقوس التي تلي الولادة مباشرة وهي مظاهر أولية بسيطة لدمج الفرد في جماعته ثم تتبعها طقوس جديدة تحدث غالباً في طور البلوغ وتصوغ الفرد صياغة كاملة تؤدي إلى ولادة جديدة وهي تتم تحت إشراف شيوخ القبيلة أو الجماعة. وفي هذه الطقوس الجديدة يخضع الناشئون لتجارب قاسية وكثيراً ما يطلب إليهم أن يتلقوا تعاليم سرية تنقل إليهم تقاليد موروثه كما يتدربون على اللغة المشتركة للجماعة وعلى استخدام الأدوات وممارسة الأعمال الشائعة في شؤون الحياة المادية، وتقسم التربية عند البدائيين من حيث الشكل تبعاً للتقسيم الحديث إلى جسدية وفكرية وروحية أما فيما يتصل بالتربية الجسدية فإنهم يتيحون لأطفالهم مجالا واسعاً من الحرية يستغلونه في ممارسة الألعاب التي تقوم على تقليد الكبار في أنشطتهم وقت السلم وزمن الحرب وهذا ما يعدهم للحياة العملية بلا شك، أما التربية الفكرية فهي تربية يغلب عليه الطابع العملي وهدفها أن تجعل الطفل ذكراً أم أنثى قادراً على تلبية احتياجاته وحاجات أسرته فيما بعد تبعاً

لنمو حياة القبيلة ومثل هذه التربية الفكرية ليس من شأنها أن تقدم لقابليات الناشئ إعداداً منهجياً عقلانياً غير أنها تشحذ القابليات والمهارات الضرورية التي يستلزمها طراز حياتهم. أما فيما يتعلق بالتربية الخلفية والدينية فإن نفوسهم تحتفظ بالكثير من سمات القانون الطبيعي فهم يقدسون الأجداد ويحترمون الآباء والشيوخ ويقدرون الشجاعة والجلد والشرف والوفاء... ويرفضون استخدام العقاب الجسدي، أما المشاعر الدينية التي ينقلونها لأبنائهم فغالباً ما تختلط بالمعتقدات المليئة بالطقوس الغريبة إلا أننا نلمح بين ثناياها الأصول الأولى للحياة الدينية كالتفريق بين العالم المرئي والعالم غير المرئي والإيمان بقوة على تنظيم الكون وتهيمن عليه الإعتقاد بوجود أرواح مستقلة خيرة وشريرة والإيمان بإنفصال روح الإنسان عن جسده عند الموت وفكرة الخطيئة التي تعاقب عليها سلطة غير مرئية وتنظيم بعض العبادات كالصلاة وتقديم القرابين (الرشدان، 2006م، ص95).

ثانياً : ظهور الكتاب وتاريخ الخط اليمني القديم (المسند – الزبور):

بعد تكوين المجتمعات ونموها توسعت دائرة معارف الإنسان وخبراته وأصبح في حاجة إلى وسيلة لنقل المعلومات وتوثيق خبراته وإنجازاته بدلاً من الإعتماد على الذاكرة والنقل الشفوي فقام باختراع الكتابة وتعتبر الكتابة واحدة من أهم المآثر البشرية عبر تاريخها فلولا وجود الكتابة لما تناقلت الأمم والشعوب العلوم والمعارف جيلاً بعد جيل ويمثل ظهور الكتابة حداً فاصلاً لما يسميه علماء الآثار الفترة التاريخية للحضارات كتعبير إصطلاحي يشير إلى العصور التاريخية التي تلت اختراع الكتابة وبداية التدوين للأحداث التاريخية.

تعريف الكتابة:

الكتابة والكتاب والكتب مصادر كتب إذا خط بالقلم وضم وجمع وخاط وخرز، يُقال كتب قرطاساً أي خط فيه حروفاً وضمها إلى بعضها البعض وكتب الكتائب أي جمعها وتعرف الكتابة بما عرف به الخط وهو تصوير اللفظ برسم حروف هجائية بتقديم الإبتداء به والوقوف عليه، كما تعرف بأنها نقوش مخصصة دالة على الكلام دلالة اللسان وتطلق الكتابة في الإصطلاح الخاص بالأدباء على صناعة الإنشاء التي ربما كان القلم فيها بيد الكاتب أمضى من الحسام بيد الضارب فيقولون فلان شاعر وذاك كاتب أي منشئ ناثر وهذا المعنى الذي عناه الشاعر النابغي بقوله:

وما كل من لاقى اليراع بكاتب..... ولا كل من راش السهام بصائب

ومن الألفاظ المرادفة للكتابة في المعنى، الخط والسطر والسفر والزبر ومنه الزبور ومنها الرقم والرسم، (الهوريني، 2005، ص57).

ويرى ابن خلدون أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية و يعرفه بأنه رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان وهي أيضاً تطلع على ما في الضمائر وتنادي بها الأغراض إلى البلد البعيد فتقتضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشر لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها من الإنسان من القوة إلى الفعل إنما تكون بالتعليم، (ابن خلدون، ص87).

مراحل تطور الكتابة:

لم تظهر الكتابة في صورتها النهائية إلا بعد أن مرت بأطوار متعددة وعلى فترات زمنية عاش فيها الإنسان مراحل من التطور المتتابع فكرياً واجتماعياً ويتفق الباحثون أن الكتابة مرت بثلاث مراحل أساسية هي التصويرة والمقطعية والأبجدية.

1-التصويرية **:**امتدت هذه المرحلة منذ ما قبل التاريخ المكتوب إلى الألف الرابع قبل الميلاد وهي مرحلة التصوير التعبيري البدائي التي ربطت بين اللفظ والصورة المادية المحددة فمثلت الأفكار لا الأصوات وصحبتها القيمة الرمزية للصورة وتمكن العقل البشري لاحقاً من قراءة الصورة على أنها الصوت فظهرت فكرة الشيء وهكذا بدأت الكتابة الصوتية.

2- المقطعية**:** سميت كذلك لاحتوائها على الكلمة ذات المقطع الصوتي الواحد، وقد عمل كل مقطع صورة معينة واحدة، وقد امتدت هذه المرحلة منذ الألف الرابع قبل الميلاد إلى بدايات الألف الثاني قبل الميلاد، حيث ظهر النص البدائي الحاوي مقاطع متعددة وصوراً متنوعة وبات يرمز إلى كل مقطع برمز تصويري، ومع هذا النظام الكتابي تحولت الكتابة ذات المقطع الواحد إلى وحدة صوتية وتشكل منطقة الشرق الأدنى القديم مثالاً حياً لهذه المرحلة في كتابات بلاد ما بين النهرين من سومرية وآشورية وبابلية، وقد سُميت هذه الكتابات بالمسمارية نسبة إلى الأثر الذي تركته أدواتها والشبيهة بأشكال المسامير.

3- الأبجدية**:** وهي أهم مراحل الكتابة لأنها شهدت تفتيت الكلمة وتحليلها إلى نبرات صوتية وهذا ما سهل التواصل الكتابي عالمياً، وقد ظهرت حسب بعض الدراسات في النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، وما زالت مستمرة إلى اليوم أما سبب تسمية كتابات هذه المرحلة بالأبجدية فهو أنها ابتدأت بكلمة أبجد وقد حصرت كل الأصوات في عدد من الحروف وانتقلت معها إلى الحاجة إلى الصورة للدلالة على لفظ الحرف وكذلك انتهى عصر المقاطع المؤلفة للكلمة أو اللفظ وعلى اسم المركب اللفظي الأول تسمت الصور والحروف ومسمياتها، وقد جمعت هذه الأبجدية في تركيبات لفظية ثلاثيه ورباعية منتظمة على نظام مألوف ومستأنس، (عقيل، 2005، ص23، 24).

خط المسند اليمني وخصائصه:

خط المسند هو خط أهل اليمن قبل الإسلام والذي كتبت به كل ممالك اليمن القديم (سبأ ومعين وقتبان وأوسان وحضرموت وحمير) منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد حتى القرن السادس الميلادي ، ولكنه عرف في مصادر التراث العربي باسم الخط الحميري نظراً لأن مملكة حمير كانت آخر مملكة يمنية عرفها العرب قبل الإسلام فنسبوا كل آثار اليمن القديم إلى حمير.

وحول تسمية الخط اليمني بالمسند تعددت الآراء، فالمستشرقون يسمونه خط النصب التذكارية، حيث يقول المستشرق الألماني إسرائيل ولفنسون "إن لحضارة جنوب بلاد العرب (اليمن) عقلية تنحو نحو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن ومن أجل ذلك يوجد لديهم ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة، (ولفنسون، 1980، ص224)، أي أنهم يرون أن الحروف عبارة عن خطوط قائمة تشبه الأعمدة في المباني، وفي التراث العربي يقول وهب ابن منبه إنما سمي مسند لأنه أسند إلى نبي الله هود عن جبريل عليه السلام، وأمرهم بالحفاظ عليه فإن لهم فيه على الخلق فضيلة، (منبه، 1979، ص63)، ويقول نشوان بن سعيد الحميري المسند تعني الدهر، وكذلك قال أبو الحسن الهمداني أن كتابة المسند هي الكتابة الدهرية، كما وصف معلمه أبا نصر اليهري بأنه قارئ مساند حمير الدهرية ونقوشها الزبورية. أما في النقوش اليمنية القديمة فقد جاءت كلمة سند بمعنى أقام أو نصب نقش والاسم مسند بمعنى لوح عليه نقش، (بيستون وآخرون، 1989، ص138)، ويرى آخرون أن اليمنيون استخدموا كلمة مسند بمعنى الكتابة على الإطلاق ويزكى هذا الفرض أن بعض الأوامر الملكية كانت تبدأ بعبارة "سطرو ذن مسنداً" أي كتبوا هذه الكتابة او الوثيقة ، (صالح، 2010، ص30)، و كلمة سطروا هي كلمة وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: (ن والقلم وما يسطرون)

- مع توسع ممالك اليمن القديم لتشمل مناطق من شمال الجزيرة العربية وإقامتهم محطات تجارية على طول طريق القوافل التجارية التي امتدت إلى الشام، نقلوا معهم الخط المسند وأصبح هو الخط الذي تُكتب به كامل الجزيرة العربية ومنه اشتق أهل شمال الجزيرة العربية خطوط أخرى مثل اللحياني والثمودي والصفوي، وقد امتدت الكتابة بالخط المسند إلى خارج الجزيرة العربية، حيث نقل اليمنيون معهم الخط المسند إلى الحبشة فكتبوه بنفس الخط و الحروف ثم في مرحله لاحقه أضافوا بعض الأحرف وعدلوا فيها بما يتوافق مع لسانهم، ولأن أهل اليمن كانوا أصحاب تجارة فقد وُجدت نقوش بخط المسند في أماكن متعددة في بلاد الرافدين ومصر وجزيرة دليوس في اليونان.

خصائص الخط المسند:

- يتكون الخط المسند من (29) حرفاً وهو خط ألفبائي الشكل رقم (1).
- اتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار.
- يفصل بين الكلمات بخط قائم.
- يتكون من الحروف الصامتة ولا حركة في الكتابة ولا مد ولا ضبط في أواخر الكلمات.
- مر الخط المسند ببعض التغيرات من ناحية الشكل والأسلوب، وعلى ضوئها حدد العلماء ثلاث مراحل زمنية يمكن أن يميزوا بها الفترة الزمنية لكل مرحلة،

أ- المرحلة المبكرة أو القديمة وتنتهي في القرن الثاني ق.م.

وتتميز نقوشها باستقامة الخط واستطالته وتعامد الخطوط في الحرف بحيث يكون زوايا قائمة، كما أن الكثير من هذه النقوش دونت على الأحجار بطريقة سير المحراث أي يبدأ الخط من اليمين في السطر الأول ثم يبدأ من اليسار في السطر الثاني.

ب- المرحلة الوسيطة وتنتهي في بداية القرن الخامس الميلادي

وتتميز خطوط هذه المرحلة بانحناء الزوايا وزواياها حادة وتميل إلى الزخرفة.

ج- المرحلة الحديثة وتشمل القرنين الخامس والسادس الميلادي اللذان دونت فيهما آخر نقوش خط المسند وتميزت بدقتها وزخرفتها الجميلة

مواد الكتابة: كتب اليمنيون على **الحجارة** والصخور والمعادن وذلك بالحفر عليها، كما وجدت بعض اللقى الأثرية من الفخار والخشب عليها كتابة بخط المسند، وقد استخدموا طرقاً متعددة للكتابة على الأحجار والصخور.

طريقة الكتابة:

1. طريقة الحفر الغائر: وهو النوع الغالب وينقسم إلى قسمين: قسم كتب بآلة حادة كالمسامير أو الإزميل وكتابته قليلة الغور غير محدودة ولا منتظمة.

   والقسم الثاني نقوش حفرت بعناية وإتقان بعد إعداد الحجر للكتابة وذلك بتسوية سطحه وتسطيره بخطوط مستقيمة متوازية الأبعاد ثم يكتب عليها ما يراد كتابته بالمداد الأسود أو الفحم ومن ثم تحفر بأدوات دقيقة فتظهر الكتابة محددة ومنتظمة، شكل رقم (2).

2. طريقة النقوش البارزة: حيث تترك الكتابة قائمة ويحفر الجزء الباقي من الحجر وصناعة هذا النوع من النقوش صعبة ودقيقة تتطلب حفر اللوح كله عدا الكتابة التي تبقى ظاهرة بارزة، وهذه الطريقة أدت إلى إكثار الزخارف في النقوش لأن الكاتب يريد أن يترك أكبر مساحة ممكنة من سطح اللوح من غير حفر.

3. طريقة النقوش البسيطة: والتي تسمى المخربشات وهو حفر غير غائر يكاد أن يكون خربشة على الأحجار البركانية وتنتشر على الطرق التجارية و الوديان
4. طريقة الكتابة على اللوحات البرونزية: والتي كانت تتم بصنع الحروف من أشرطة شمعية ثم ترص بالضغط الخفيف على اللوحات الشمعية على هيئة خطوط أفقية وعمودية، (البريهي، 2004، ص45).الشكل رقم (3)

مواضيع كتابة نقوش المسند:

كانت كتابة المسند كتابة مقدسة تركزت في أغلبها على الجانب الديني كنقوش النذور والقرابين و الإهداء و نقوش التشييد و العمران و المعارك و الحملات العسكرية كما إحتوت نقوش المسند على نقوش القوانين و التشريعات و هذهِ المواضيع هي جل ما احتوته ما يبلغ عددها عشرة الف نقش مكتشف وتمت دراستها وتوثيقها يضاف إليها نقش صخري وحيد يمثل الحياة الأدبية لدى اليمنيين و هو النقش الذي أطلق عليه الدكتور يوسف محمد عبدالله نقش القصيدةِ الحميرية او نقش ترنيمة الشمس وتم إكتشافة في وادي قانيه بمحافظة البيضاء عام 1977م والذي ورد على شكل كتابة دعاء بقافيه موحده كالقصائد الحديثة

أماكن التعليم و الدراسة:

كانت المعابد هي المؤسسات المناط بها مهمة التعليم في الحضارات القديمة كبلاد الرافدين ومصر القديمة وكذلك اليمن القديم فقد وجدت العديد من النقوش التي تذكر تقديم هبات للمعبد لأنه قام بتربية أبناء و بنات الملوك كما وجد في بعض المعابد الرئيسية حجرات ملحقة تحتوي على العديد من النقوش مرتبه بشكل يوحي أن هذه الحجرات كانت بمثابة المكتبات في العصر الحاضر، وقد ورد إسم المعبد في النقوش بإسم (محرم) كما احتوت المعابد على عده أقسام وكل قسم يؤدي وضيفه محددة ،و في دراسة أثرية لبعثه روسيه في حضرموت مدينة ريبون أوضحت أن معبد ريبون كان به مدرسه ملحقه لإعداد الكتبه والخطاطين و أن مادة الكتابة كانت تدرس على نحو دقيق في اللغه و المبادئ الأساسية لكتابة الإشارات و يحافظ بصرامه على القواعد التقليدية للنحو و الصرف في الكتابة(ليفني، 1988،ص230) وفي مرحلة متأخرة من تاريخ الدولة الحميرية شهد اليمن صراع بين الديانتين اليهودية و المسيحية وتذكر المصادر التاريخية أنه كان هناك كنائس في ظفار و صنعاء و عدن وشبوه و نجران و لاشك أن تلك الكنائس و الأديرة قد قامت بدور في تعليم القراءة والكتابة للأطفال وتثقيف الناس بأمور دينيه على غرار ما كان في كنائس العرب في العراق وبلاد الشام (علي، 1980،ص295) وقد ورد إسم الكنيسة في النقوش بإسم (بعت) اي بيعه.

المواد الدراسية:

لم ترد معلومات صريحه عن المواد الدراسية التي كان يتم تدريسها في اليمن القديم ولكن يفهم من النقوش ان المواد الأساسية كانت القراءة والكتابة في المرحلة الأولى ثم الحساب اما التعليم العالي فكان يختص به فئه الكهنه (المعلمين) ، وقد وردت في النقوش ألفاظ داله على القراءة والكتابة مثل (س ط ر) بمعنى كتب و (ص ح ف) وتعني كتب وثيقه و (م ث ل) بمعنى كتب نسخه أخرى و (ن ط ف) بمعنى أعلن او نشر و (و ت ف) بمعنى قيد او دون و سجل و (ذ ك ر) بمعنى ذكر او أعلن خبر و (س م ع) بمعنى سماع او تسميع و (ج ز ل) بمعنى كتب على صخره و (ن ق ر) بمعنى كتب، و في الحساب كان لهم نظام عددي وثقته النقوش و ذلك لاحتياجهم إليه في حياتهم اليوميه خاصة التجار لضبط اعمالهم وحساباتهم وكذلك لحاجه المعابدَ لمن يجيد علم الحساب لإدارة أملاك المعابد وإخراج العشور ولحاجه القصور الملكيه لإدارة الخزينة وفق نظام محاسبي دقيق وكانت كتابه الأعداد من 1 إلى 4 تمثل بخطوط عموديه مستقيمه فيرمز الخط الواحد إلى رقم 1 والخطان العموديان المتوازيان إلى الرقم 2 وهكذا اما الرقم 5 فرمزو له بحرف خ وهو الحرف الأول من العدد 5 و لكتابة الرقم 6 يوضع خط إلى جوار حرف خ وهكذا حتى الرقم 10 حيث يرمز له بحرف ع وهو الحرف الاول من العدد والرقم 100 يرمز له بحرف م والرقم 1000 يرمز له بالحرف أ (صالح، 2017،ص323) ، شكل رقم (4) كما كتبوا الأعداد الكسريه و العشرية و الأوزان و أنواع المقاييس للمباني باختلاف اشكالها و اغراضها مما يدل على درايتهم لعلوم الهندسه (البريهي، 2000،ص62) ومن الألفاظ الدالة على ذلك في النقوش كلمه (ا م م) بمعنى ذراع، مقياس (ط و ل) الطول (ع ر ض) العرض (ح ر و) بمعنى خط تحديد او تقسيم (ح و ى) بمعنى طوق او أحاط (ظ ب ر) وحده قياس للأرض (ش ح ط) مقياس طول يعادل 5 اذرع (س ر ر) نوع من المقاييس حيث أبدع اليمنيون في بناء السدود والمعابد و القصور وما كان ذلك ممكن لولا تمكنهم في التخطيط الهندسي و معرفه أصوله.

خط الزبور اليمني:

هو خط تحريري أو شعبي كتب به اليمنيون شؤونهم العامة ومراسلاتهم الشخصية ففي حين خط المسند مخصص للكتابة التذكارية أو المقدمة خصص هذا الخط لتدوين الحياة العامة في اليمن القديم، وقد ظلت معرفة الباحثين والدارسين بهذا الخط مجهولة حتى أواخر القرن العشرين، ولم يكن يُعرف عنه إلا ما ورد في كتب التراث العربي والشعر الجاهلي فقد أشار الهمداني وهو يذكر أنساب الشام والعراق قوله

"وامتنعت عليهم أنساب ولد الهميسع إذ كانت مزبورة في خزائن حمير"، (الهمداني، ج10، ص30)، وروى الهمداني عن أحدهم قوله: "أصبحت قبراً باليمن عليه حجر منقوش فزبرت كتابه في جريدة من النخل"، (الهمداني، ج8، ص147)، كما قال الهمداني أن أبا نصر اليهري كان في عهده قارئ زبر حمير ومساندها الدهرية. ومن الشعر الجاهلي قول امرئ القيس:

لمن طلل أبصرته فشجاني ** كخط زبورٍ في عسيب يماني

وأورد الهمداني بيت شعري لعمرو بن تبع قال فيه

زبرنا في ظفار زبور مجدٍ ** فيقرؤه قروم القريتين

وقال أبي ذؤيب الهذلي:

عرفت الديار كرقم الدواة **يزبرها الكاتب الحميري (ابن دريد، ص29).

وقال لبيد في معلقته:

وجلا السيول عن الطلول كأنها ** زبرٌ تجد متونها أقلامها (الزوري، ص207).

وقال شاعر جاهلي:

ام الدار أمست قد تعفت كأنها ** زبور يمان رقشته سطورها (الأصفهاني، ج22، ص346).

وأورد نشوان الحميري من شعر أسعد الكامل:

قد كتبنا مساندٍ في ظفار ** وكتبنا أيامنا في الزبور (الحميري، ص128).

اكتشاف خط الزبور ودراسته:

بعد اكتشاف أكثر من عشرة ألف نقش كتب بخط المسند تمت دراستها ونشرها انصرف العلماء عما ذكرته الكتب العربية والشعر الجاهلي من أن أهل اليمن كان لهم كتابات تسمى الزبور كانوا يكتبونها إلى جانب كتابات المسند هي نفسها كتابات الزبور، وفي عام 1970م تم العثور على عودين من جريد النخل، شكل رقم (5) في خرائب الجوف ووصلا إلى عالم الآثار والنقوش اليمنية الدكتور/ محمود الغول وبقيا لديه عدة سنوات دون التمكن من فك رموز تلك الكتابة وساد الاعتقاد أن تلك الرموز قد تكون رموز هندية، وفي بداية الثمانينات تمكن الدكتور الغول من زملائه من علماء النقوش القديمة من التعرف على تلك الرموز وأنها شكل من أشكال خط المسند وفي نفس الوقت ظهرت عدة نقوش على جريد النخل بنفس الخط فتأكد علماء الآثار من صدق ما أوردته المصادر العربية القديمة من وجود خط آخر لليمنيين إلى جانب المسند. وفي عام 1986م نشر الدكتور/ يوسف محمد عبدالله أحد نقوش الزبور في مجلة اليمن الجديد كما قدم نقش آخر إلى حلقة الدراسات العربية في جامعة أكسفورد

عام 1990م وفي عام 1995م تم دراسة ونشر عشرين نقش بخط الزبور في كتاب بعنوان نقوش خشبية قديمة قام بتأليفه مجموعة من علماء النقوش هم يوسف محمد عبدالله وجاك ريكمانز والترمولر، (الصلوي، 2008، ص62).

ثم توالت الاكتشافات في مناطق مختلفة من اليمن لهذا النوع من الخط، حيث بلغت حتى 2004م أكثر من سبعة ألف نقش موزعة بين متحف جامعة صنعاء والمتحف الوطني والعسكري و800 نقش في مكتبة ميونخ – ألمانيا و200 نقش بمجموعة ليدن بهولندا، وقد تناول العديد من الباحثين والعلماء دراسة مجموعة من هذه النقوش إلا أن ما تم دراسته حتى الآن لا يمثل أكثر من 10٪ منها ولكنها كشفت النقاب عن جوانب هامه في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم لم تكن معروفة من قبل.

تاريخ النقوش الخشبية بخط الزبور:

كان الرأي السائد حول تاريخ هذه النقوش بأنها تعود إلى الفترة السبئية المتوسطة بناءً على ما تم دراسته في تسعينيات القرن الماضي ولكن دراسات حديثه قام بها عدد من العلماء توصلوا إلى أن تاريخ بعض هذه النقوش يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد وبعضها إلى القرن السابع قبل الميلاد وان اليمنيون قد كتبوا بداية بالمسند على الحجر ثم استخدموا الخشب كمادة للكتابة من أجل معاملاتهم اليومية ثم تطور خط الزبور المكتوب على الخشب مع الزمن وقد تم التعرف على عشرة أشكال من خط الزبور والتي تظهر مراحل استخدام خط الزبور والمسند لأكثر من 1400عام، (مرقطن، 2004، ص70).

أدوات كتابة خط الزبور:

نقشت هذه الكتابات على عسيب النخل أو على المواد من خشب العرعر بقلم مدبب معدني الطرف أو بقلم خشبي يثبت على طرفه قطعة معدنية مدببة يشبه بذلك القلم الذي يوصف في كتب التراث العربي بأنه أنبوب من القصب يبرى أحد طرفيه ويشق شقاً خفيفاً ليكون له سنان يدخل الحبر بينهما ويكتب به بعد أن يغمس في الحبر على الرق أو عسيب النخل بعد دهنه بالزيت أو الشمع غير أن قلم كتابات الزبور يغمس طرفه المدبب بمادة لزجة أو شحمية ملونة لتثبت الحروف الغائرة في العسيب أو الخشب، وقد عثر على خمسة من تلك الأقلام في منطقة الجوف إثنان منها من العاج وثالث من البرونز ورابع من الحديد والخامس من الخشب وفي طرفه قطعة معدنية مدببة الشكل رقم (6) ومع أن اسم هذا القلم لم يرد في النقوش المسندية أو الزبورية ولكن المرجح أنه كان يسمى المزبر وزن اسم الآلة (مفعل)، (هزيم، 2015، ص645).

الأهمية التاريخية واللغوية للنقوش الخشبية اليمنية:

تكتسب النقوش المكتوبة بخط الزبور أهمية بالغة في توضيح جوانب كانت غامضة في تاريخ الحضارة اليمنية، فحين كانت نقوش الخط المسند ذات طبيعة خاصة والكثير منها ذات طبيعة نذرية وتتحدث في صيغة ضمير الغائب، فقد احتوت هذه النقوش على الكثير من المفردات التي لم ترد في كتابات خط المسند كما احتوت على مواضيع لم تكن معروفة من قبل مثل الرسائل الشخصية وعقود البيع والشراء وقوانين المعاملات اليومية وكتابة السندات ويعتبر الباحثين أن هذه النقوش قد وضحت التاريخ الإقتصادي والاجتماعي لليمن، حيث اشتملت على معلومات عن الزراعة والمحاصيل الزراعية والمكاييل والأوزان والنقود والتجارة والحياة اليومية، كما كشفت معلومات هامة عن المرأة ودورها في المجتمع كما احتوت على أسماء أشخاص ومهماتهم الوظيفية في مؤسسات الدولة وكذلك قوائم بأسماء بعض القبائل. "وبالإشارة إلى طبيعة مادة النقوش الخشبية فهي تشبه إلى حد ما نصوص البردي المصرية فمنها النص الطويل والمكتمل ومنها القصير ومنها المتآكل ونحن نعرف قيمة نصوص البردي كمصدر هام للتاريخ المصري فالنقوش الخشبية تقوم تماماً بمهمة نصوص البردي في مصر وتشكل رافداً هاماً للنقوش المسندية في صياغة التاريخ اليمني القديم، حيث تحتوي على الكثير من المواضيع الخاصة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية التي لا تذكرها نقوش المسند، كما أن اكتشاف أعواد مدرسيه او تدريبيه بخط الزبور تثبت قيام نظام تعليمي مدرسي على غرار ما كان في الحضارات المعاصرة للحضارة اليمنية (مر قطن، 2004، ص71).

نشأة التربية المدرسية في الحضارات القديمة:

كانت الأسرة ولا تزال هي الوعاء الاجتماعي لبذر سمات الشخصية الإنسانية، حيث تتكون فيها أولى العلاقات الاجتماعية التي يتلقاها الطفل فينمو في وسط أسري يعرف فيه كل قيم الحياة الأساسية وكانت الأسرة قديماً تقوم بكل وظائف التربية كضرورة أملتها عليها الظروف إلى جانب قيامها بكل شؤون الحياة الاجتماعية، فتقوم بتدريب أبنائها على القيم وأنماط السلوك وتعليمهم المهارات والخبرات من خلال إشراكهم في الإنتاج ومناشط حياة الأسرة المختلفة ومع تراكم الخبرات الحياتية واتساع المجتمع وتزايد المعارف وتطور وسائل الإنتاج وتقسيم العمل عجزت الأسرة عن إعداد الأبناء لمهام الحياة المتجددة ومع ظهور الكتابة التي سمحت بتدوين العلوم والفنون وتبادل المعارف، ظهرت الحاجة إلى ما يعرف بالتربية المقصودة أو التربية المدرسية كنمط من أنماط التربية التشكيلية تطورت بتطور الحياة الإنسانية فأخذت تظهر الجماعات المتخصصة وفقاً لاحتياجات المجتمع وأنشطته المختلفة، فوجدت جماعات تخصصت في صناعة الأسلحة والعتاد وأخرى في البناء وثالثة في الطب والعلاج ورابعة في الحرف

والصناعات اليدوية وخامسة في تعلم الكهانة ومهارات الطقوس الدينية وهكذا تخصصت كل جماعة في وظيفة محددة في جانب حياة المجتمع، ولما كانت المجتمعات القديمة تسيطر عليها جوانب الطقوس والعبادات فقد كان المعبد نواة لظهور المؤسسة التعليمية "فالمعبد كان عبارة عن مؤسسة تعليمية وتربوية على حد سواء وقد كانت كتاتيب مختلفة قائمة قبل الإسلام ونظام هذه الكتاتيب والمؤسسات التعليمية التي وجدت فيما بعد في المساجد هي إمتداد وتواصل لتلك المؤسسات القديمة التي وجدت في المعبد الذي كان يؤدي رسالته التعليمية والروحية بصورة طبيعية وينقل الخبرات إلى الجماعات في هذا المستوى، (إسماعيل، 2010، ص23. وقد عرفت الحضارات القديمة أنظمة تعليمية متشابهة ففي الحضارة الفرعونية وأفق قيام الممالك الكبيرة بعد توحيد مصر تطور النظام السياسي والإداري والإقتصادي وقيام نهضة شاملة في الزراعة والتجارة والحرف وما رافق ذلك من إقامة رحلات تجارية وثقافية مع الشعوب والحضارات المجاورة انعكس ذلك في تطور نمط تربوي بمدارس نظامية ومعاهد علمية، حيث قسم فيها إلى مراحل تتبع المعابد كان غرضها الاهتمام بالكتابة والقراءة وتعليم اللغة والآداب وأيديولوجية الدولة وتولى التدريس بها الكهنة (أساساً) الذي أخضعوا لنفوذهم الفنون والحرف والعلم ومختلف المناشط الفنية والحرفية وتوجيه التعليم في بوتقة التقاليد المحافظة على التراث الثقافي، (أحمد وآخرون، 1972، ص69. وفي حضارة بلاد الرافدين عرف الكلدانيين المدارس وكان ملعوهم من السحرة والمعابد هي المراكز الرئيسية للنشاط الفكري وكانت للكلدانيين لغتهم الخاصة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية أما التربية العالية، فقد اقتصرت على السحرة والطبقات العليا من المجتمع وكان التعليم فيناً وعملياً بالدرجة الأولى وهدف إلى تكوين تجار وكتاب، كما اهتموا بدراسة الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة وكشفت الحفريات عن مجموعة من مؤلفاتهم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية.

كما عرف البابليون والآشوريون المدارس وكانت المعرفة لديهم ضرورية لتوفير الهناء والرفاهية للأفراد ويحتفظون بواسطتها بسمعة وطنهم أمام سواهم كما عرف شعبهم جدول الضرب والنظام العشري في العد ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات والفلك والرياضيات ونظام الأسبوع والتشريع والنظام وأشهرها شريعة حمورابي، (غانم، 2019، ص238).

وفي شبه الجزيرة العربية كان العرب ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما البدو والحضر وكانت العائلة هي أهم وسائط التربية عند العرب وخاصة البدو منهم وكان أهم ما يتعلمه البدو هو الصيد والرماية والقنص وإعداد الآلات الحربية، بالإضافة إلى تعلم القتال لردع الأعداء ومنازلة الوحوش الصحراوية وكانت الوسيلة المتبعة في ذلك كله هي المحاكاة والتقليد أو طريقة النصح والإرشاد من كبار السن وشيوخ العشائر وكانت التربية مقتصره على تعليم الأطفال القراءة والكتابة والقليل من الحساب.

أما الحضر (اليمن) فقد كانت تربيتهم أكثر رقياً وتقدماً من البدو وانقسمت إلى قسمين ابتدائية وعالية وكانت لهم طرق في التدريس لا تعتمد على الحفظ والتقليد مثل البدو، وكان التعليم إنفرادياً إذ يخصص كل معلم جزء من وقته لكل تلميذ وكان لهم مدارس ومعاهد للتربية والتعليم وأماكن لطلب العلم، غانم، 2019، ص239.

خصائص التربية والتعليم في الحضارة اليمنية القديمة:

عرفت اليمن قيام حضارة راقية امتد حكمها في فترات ازدهارها إلى أجزاء واسعة من الجزيرة العربية والسواحل الشرقية من أفريقيا وفي فترات التدهور خرجت منها هجرات لتستقر في المناطق الزراعية في الشام وبلاد ما بين النهرين وأقامت لها دولاً وممالك عربية وطدت دعائم الحضارة العربية لعدة قرون حتى ظهور الإسلام. وقد استقر اليمنيون في عواصم الممالك اليمنية القديمة وأهمها مأرب ومعين وتمنع وهجر كحلان وحضرموت وظفار وفي المدن المنتشرة على طرق قوافل التجارة وسط الجزيرة العربية وفي حواضر المدن اليمنية شهد الإستقرار تطور أنظمة الزراعة والري وبناء المعابد الدينية والقصور ليرافق ذلك ويسنده تزايد حركة التجارة العالمية وازدهارها، حيث كانت اليمن مركز تجارة الشرق كله فإليها وفدت تجارة الهند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقياً ومنها تنطلق قوافل اليمنيين لتجوب البحار والصحراء شمالاً وشرقاً مما جعلها محط أنظار جميع الحضارات القديمة. وقد اهتم اليمنيون في حواضر مدنهم بالتربية فكان لهم نظام تعليم يتصف بغلبة الطابع الديني كما في مأرب بالإضافة إلى المعابد المنتشرة في المدن والمقاطعات إلى جانب المدارس الأخرى التي درست فيها فنون العمارة والهندسة والطب والفلك والنقش والتاريخ والآداب والزراعة، ومن الجدير بالذكر أن بعض المدن الرئيسية في اليمن أطلق عليها في النقوش اسم (هجرن) أي هجرة وهذه المدن كانت مراكز لأنظمة الحكم توافرت فيها أسباب العيش والرزق وطلب العلم وأقيمت فيها العديد من المؤسسات التابعة للدولة كالمعابد والقصور وأماكن تعليم الحرف، وقد تميزت اليمن بعد الإسلام بتخصيص مدن أو قرى لتلقي العلم فيها وكان يطلق عليها (هجرة) وهذا النظام التعليمي هو امتداد لما عرفته الحضارة اليمنية قبل الإسلام.

وإجمالاً يمكن تحديد خصائص التربية والتعليم في اليمن القديم بالنقاط التالية:

- الإيمان بإله المعبود مهما كان نوعه (شمس، قمر، كواكب).
- التفوق اللغوي فألفاظ النقوش المسندية هي في الأصل أسس اللغة العربية فجانب من اشتقاقات اللغة العربية تضرب بجذورها في عمق التاريخ وأن أجزاء اللغة العربية نحوها وصرفها وقوافيها وأوزانها تدل على تميزهم اللغوي.
- رقيهم العلمي فقد أنتجوا تراثاً في الفلك والطب والهندسة والعمارة.
- دراسة جغرافية الأقاليم المجاورة حيث كان لليمنيين رحلات تجارية مع كل الأقاليم.

- دراسة المعلومات الطبيعية والفلكية والأحوال الجوية إذ اهتم اليمنيون بمعرفة مواسم الزراعة والتقلبات الجوية عن طريق حركة النجوم وتعاقب الأيام فوضعوا التقويم الزراعي الذي تم الكشف عن عدة أنواع من هذا التقويم كان آخرها التقويم الحميري.
- دراسة الطب بشقيه التطبيقي والتجريبي والتداوي بالأعشاب وقد كشفت التنقيبات الأثرية عن العديد من الجثث المحنطة التي تدل على ان اليمن القديم قد عرف مستوى متقدم في كل علوم الطب والتشريح لا تقل عن تلك التي عرفتها الحضارة المصرية كما كشفت الأبحاث عن العديد من أسماء الأمراض والشفاء منها والتي وثقتها النقوش المسندية.
- دراسة بعض اللغات الأجنبية، حيث ارتبط اليمنيون بصلات عديدة مع مختلف الحضارات المجاورة الفرعونية (الفرس، الرومان، بلاد الرافدين) وهذه الصلاة مكنتهم من معرفة اللغات الأخرى، (الحاج، 2013، ص78).
- تعدد وظائف المعابد وكانت مهمة الكتابة للنقوش أحد مهام كهنة المعبد كما دل على ذلك التقدمة التي قدمها الكاهنان وهب أل الجدني، وكرب عثت أسعد لمعبد برآن بسبب صدور المرسوم من الملكين آل شرح يحضب وأخيه يازل بين ملكي سبأ وذي ريدان منتصف القرن الثالث الميلادي بتعيينهما مسؤولين عن الشؤون الدينية في المعبد وخاصة وظيفة الوحي واستقبال الأجوبة من الإله وتوثيق ذلك إلى جانب الإشراف على التقدمات والنذور وكتابة النقوش، (الإرياني، 1986، ص77).

تعليم المرأة في الحضارة اليمنية:

جاءت معارفنا عن المرأة في اليمن القديم من خلال الآثار والنقوش اليمنية القديمة التي بينت لنا الدور الذي تقلدته المرأة سواءً في الحياة الاجتماعية أو الدينية أو السياسية فقد وجدت نقوش قدمت من قبل النساء أنفسهن وهي نقوش تتعلق بأمور دينية ودنيوية كنقوش النذور ونذور الخطيئة والتكفير ونقوش البناء والصيد، كما وجدت العديد من الأسماء المدونة على التماثيل واللوحات الجنائزية وشواهد القبور، كذلك وذكرت المرأة فيها وهي نقوش تتعلق بأمور الحرب والنذور والبناء ومن كل هذه النقوش استقينا بعض المعلومات عن النظام الأسري في اليمن القديم، حيث ذكرت المرأة بأنها: (أخت، وبنت وزوجة وامرأة وأم وقرينة ورفيقة وأرملة ووريثة)، كذلك أفصحت لنا بعض النقوش عن أوضاع المرأة الاجتماعية والدينية والسياسية في اليمن القديم، حيث ذكرت المرأة بأنها "جارية وخدمة وراعية وسيدة وكاهنة وملكة ونائبة

للملك في أمور إدارية وعسكرية أو مدبرة أمور القصر أو بيت المال"، وما من شك بأن هؤلاء النسوه التي جاء ذكرهن في النقوش اليمنية القديمة كان لهن شأن في مجتمعهن بل إن صاحبات هذه المناصب ومن وصفن بها ذوات دور اجتماعي مرموق وبارز في مجتمعهن، (شعلان، 2004، ص26)، كما وجدت نقوش أخرى تذكر قيام المعبد بمهمة تربية بنات الملوك، كما في أحد نقوش معبد أوام الذي يذكر فيه (تقديم تمثال من البرونز للمعبود آل مقة سيد أوام لأنه تعهد بتربية ابنة الملك أب حمد واستكمال تربيتها ورعايتها حتى اشتد عودها)، ويعتبر أحد الباحثين أن هذا النقش يعتبر نموذج للتربية الدينية في اليمن القديم، ومما لا شك فيه أن تلك التربية قد تضمنت تعليم القراءة والكتابة التي كانت أهم مهام المعابد ويمكن اعتبار هذا النقش بمثابة شكل قديم للشهادة المدرسية ودليل مادي على تلقي أبناء وبنات الطبقة العليا للتعليم في المعابد ولنا في قصة ملكة سبأ مع نبي الله سليمان دليل آخر على أن المرأة كانت تجيد القراءة والكتابة، قال تعالى: "قالت يا أيها الملأُ إني أُلقي كتاب كريم (29) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (30) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين (31)") صدق الله العظيم، النمل (29-31)، وهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال مفاده ما هو الخط أو اللغة التي كتب بها نبي الله سليمان رسالته إلى ملكة سبأ، حيث أن خط أهل اليمن كان الخط المسند وخط أهل الشام كان الخط الأرامي، حيث لا يوجد تأكيد في أي مصدر إلى نوعية الخط الذي كُتبت به تلك الرسالة، ولكن إذا افترضنا أنه كتب بخط المسند فهو خط أهل اليمن وهي تعرفة، أما إذا كانت الرسالة كتبت بالخط الأرامي فقد قرأته، وهذا يدل على أن أهل اليمن كانوا يتعلمون قراءة الخطوط الأخرى للحضارات المجاورة نظراً لأنه كانت لهم علاقات تجارية واسعة. كما أن المرأة في اليمن القديم قد تولت مناصب عليا في المعبد، حيث نجد نقش على تمثال برونزي للكاهنة برأت، شكل رقم (7) تذكر فيه أنها أهدت المعبود ذات حميم هذا التمثال البرونزي عندما كانت خازنة بيت مال للمعبود (عم ذى رحبة) وكاهنة و(عم ذي ديمت)، وربما شغلت المرأة وظيفة إشرافية على أكثر من معبد ويدل على ذلك نص لسيدة تُدعى (أسلِم) وقد حملت لقب ذات البيتين يفعان ويافع أي المنتمية إلى المعبدين يفعان ويافع، كما لقبت أيضاً بوصيفة للحاكم شرح بن همدان، (الحداد، 2003، ص444).

وبما أن الكاهنة برأت قد شغلت منصب خازنة بيت المال، فهذا يدل أيضاً أن المرأة كانت على قدر عالي من التعليم في القراءة والكتابة والحساب أيضاً، كما نجد أحد النقوش المكتوبة بخط الزبور من امرأة إلى صديقاتها تحمل رسالة شخصية ويظهر هذا النقش أسلوب راقي وهو أشبه ما يكون برسالة عاطفية من امرأة إلى صديقاتها تسألهن عن أحوالهن وعن سبب إنقطاع التواصل بينهما وتدعو لهن بدوام النعمة

وتخبرهن بشفائها مما كانت تعانيه من المرض وفيه من التأكيد بما يكفي لأن نقول أن المرأة في شبه الجزيرة العربية، قد عرفت الكتابة وممارستها في حياتها اليومية، (عقاب، 2009، ص64، 65).

التدريب والتعليم المهني في الحضارة اليمنية القديمة:

تعود جذور التعليم المهني إلى بداية نشوء الحضارات البشرية الأولى التي اعتمدت في جوانبها المختلفة على الحرف اليدوية والتي تمثل بالنسبة لهم أسباب البقاء، حيث بدأت بتطوير أدوات الزراعة ومقوماتها ثم الأدوات العسكرية للدفاع والحماية ثم العمارة وبناء السدود والمعابد والقصور والقلاع، وفي هذه المرحلة كان المجتمع كله هو المدرسة التي يتعلم فيها المجتمع وأفراده وكانت التربية عملية وظيفية تخدم أغراض مباشرة وهي المرحلة التي تسمى التربية غير المقصودة أو اللا مدرسية ومن هنا كانت النشأة الأولى للتدريب والتعليم الحرفي والمهني. ثم بعد ظهور الكتابة ظهرت المدرسة كمؤسسة مستقلة للتعليم مرتبطة بالمعابد وبحكم أهمية الجانب الديني في حياة المجتمعات، فقد انقضت الضرورة أن يكون الكهنة ورجال الدين هم المعلمين وأن تكون دور العبادة هي المكان المفضل للتعليم المقصود، ثم إن قدسية المكون الديني هو الذي حدد مضمون التعليم وعين وظائف المدرسة وأساليبها وكون الدين يقوم على الثقافة النظرية التي تستند في بنائها على العقل والقوى الذهنية، فقد انقضى الأمر أن تقتصر المدرسة على التعليم النظري الذي يخاطب العقل ويبني قدراته العقلية العليا، وهنا استبعد التعليم المهني أو الحرفي في أشكاله الأولى عندما نشأت المدرسة فضل التعليم المهني في الوسط الاجتماعي والاقتصادي لصيقاً بالتربية غير المقصودة، ويتم وفق الأساليب التقليدية والظروف المتاحة تتولاه الأسر والجماعات في واقع الحياة مباشرة أثناء ممارستهم الأنشطة الإقتصادية والاجتماعية، وحتى عندما قامت المدارس بتعليم النشئ بعض المهن، فقد تم ذلك من أجل تحقيق أغراض دينية في الأساس، (الحاج، 2008، ص52). وقد عرف اليمن القديم نشأة حرف ومهن مختلفة اشتهر فيها عبر تاريخه كما تطورت بعض الحرف بشكل ملحوظ، مما يجعلنا ندرك أن هذا التطور قد خضع لتعليم وتدريب للحرفيين العاملين في تلك المهن، فيمكن ملاحظة ذلك التطور من خلال ما خلفته تلك المهن من آثار ملموسة باقية حتى اليوم، ومنها على سبيل المثال النحت والرسم، حيث نجد التماثيل والشواهد الجنائزية البشرية والنذور الحيوانية منحوتة بدقة وحرفية عالية تقتضي معرفة هندسية وتدريب مستمر، والأمر الآخر يمكن ملاحظته بعد ظهور المعادن والتي كانت تحتاج في البداية إلى خبرة متراكمة لمعرفة أماكن تواجد المعادن واستخراجها، حيث عرف اليمن القديم استخراج الذهب والفضة والبرونز ومن هذه المعادن قام بصناعة النقود والتماثيل والأدوات المنزلية وتشير الدراسات إلى أن استخدام المعادن في الصناعة يحتاج إلى معرفة ودراية كاملة بدرجة حرارة الصهر ونسب استخدام كل معدن لكي يخرج بالصورة المطلوبة والصلابة التي استطاعت أن تصمد آلاف السنين أمام متغيرات

الزمن وعوامل التعرية، فاستخدام البرونز لعمل التماثيل واللوحات النذرية والذي يمثل أكبر نسبة من المصنوعات اليمنية القديمة يحتاج إلى عمال وحرفيين مهرة على قدر عالي من التعليم والتدريب، وتقول أحد الدراسات التي أُجريت على البرونز اليمني "أن أكثر ما شد الإنتباه في البرونز اليمني وأحد خصائصه دقة ورهافة المعدن الذي نادراً ما يتجاوز سمكه 5 ملم، وأن معظم التماثيل اليمنية القديمة الصغيرة والمتوسطة يتراوح سمكها بين 3.2 ملم، (بني يحيى، 2010، ص20، 21)، وبالإضافة إلى رهافة سمك البرونز اليمني تميز أيضاً ببراعة صبه إذ نادراً ما وجدت عيوب في سطح المعدن المصبوب، حيث لا أثر لفقاعات المعدن المنصهر أو علامات لترقيع عيوب الصب، إذ غالباً ما تواكب عملية صب المعدن ظهور فقاعات هواء ناتجة عن الحرارة المرتفعة للمعدن، كما أن درجة الحرارة المنخفضة تقلل من مطاطيته وسيولته وتسبب في تشقق البرونز، ومن خلال دراسة التماثيل البرونزية في الحضارات القديمة لوحظ وجود عدد كبير من الرقع الصغيرة ، وتغطي أحياناً أماكن واسعة من سطح المعدن، غير أن ذلك لم يظهر في التماثيل اليمنية فقد تم فحص تمثال يمني برونزي من القرن السادس قبل الميلاد وارتفاعه 140سم لا يحمل سوى إصلاحين فقط بينما التماثيل الرومانية وبحجم أصغر تغطيها مئات الرقع، وهذا يدل على أن الحرفي اليمني كان ضليع بمهنته، وإن خبرته المتراكمة بالمعادن وتعرفه على نظام محكم لصب المعادن ودرايته بالنسب المطلوبة للحصول على برونز سهل السيولة وتوصله إلى معرفة درجة الحرارة المناسبة للصب وتحكمه بها جعله قادراً على عمل تماثيل من البرونز مجوفة خالية من العيوب ومنتظمة السمك رقيقة تبهر كل المختصين في صناعة البرونز القديم، (بن يحيى، 2010، ص21).

المهن والحرف التي عرفها اليمن القديم:

سمي الحرفي في كتابات المسند اليمني القديم باسم (ا م هـ ر ن) وتعني المهرة أو الحرفة، وما زالت هذه الكلمة في اللهجات اليمنية الحديثة بمعنى حرفة وتمهر بمعنى اشتغل أو حصل على عمل، (البريهي، 2000، ص27)، وفيما يلي بعض المهن والحرف والصناعات التي عرفها اليمن قديماً

1- حياكة النسيج: كان لليمن شهرة واسعة في صناعة الملابس وتحبير البرود والنسيج واشتهرت عدة مخاليف من مخاليف اليمن بذلك، وانتشرت منسوجات اليمن في الأحياء والحواضر العربية وعرفت بجودتها وأناقتها وكان لملوك اليمن دور للنسيج عرفت في كتابات المسند بـ (ن ع م ت) كما عرف الموضع الذي تنسج فيه المنسوجات بـ(ح ل ل ت) وعرف النساج بـ(ا ن م)، كما صدرت هذه المنسوجات سواء القطنية منها أو الحريرية أو الكتانية والصوفية إلى خارج الجزيرة العربية.

2- حرفة التعدين: تم استخراج المعادن للإستفادة منها في صناعات عديدة كانت لازمة وضرورية للحياة اليومية ومن تلك المعادن الذهب والنحاس، والحديد، والفضة، والرصاص، والكبريت...إلخ، والأحجار الكريمة، (عامر، 2005، ص22، 25).

3- حرفة الصياغة: وتقوم على تحويل المعادن إلى قطع من الحلي والمشغولات، وقد يضيف الصائغ إلى تلك المعادن قطعاً من مواد أخرى لزخرفتها مثل: إضافة الأحجار الكريمة إلى المصنوعات الذهبية، ومن أنواع تلك الحلي (القلادة، الأسورة، العصمة، الأقراط، الخلخال، الخواتم، التيجان)، الحلي النسائية المختلفة، الأكواب، الكؤوس، السلاسل، والعقود)، (عامر، 2005، ص35-38).

4- الحدادة: كانت الحدادة حرفة أساسية لإنتاج المواد التي يحتاجها المزارع كالمحراث والفأس والمعول وما تحتاجه الجيوش من صناعة الأسلحة كالسيوف والخناجر والدروع والرماح والسهام، وقد اشتهرت السيوف اليمنية بجودة صناعتها، واستمر صيتها ذائعاً حتى فجر الإسلام كالسيوف اليرعشية والسيوف اليزنية.

5- حرفة الزراعة والرعي: وقد اشتهرت اليمن بزراعة أراضيها وخصوبتها حتى أن القرآن الكريم ضرب فيه المثل في قوله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبة ورب غفور)، كما عرف اليمن القديم استئناس الحيوانات وتربيتها منذ فجر التاريخ.

6- حرفة الخط وكتابة النقوش: وكانت أحد الحرف اليدوية ولكنها تتطلب من صاحبها معرفة القراءة والكتابة.

7- حرفة البناء والعمارة: كانت من أهم الحرف التي أبدع فيها اليمني القديم وما تزال الكثير من آثارها باقية كسد مأرب والعديد من المعابد المنتشرة في حواضر اليمن القديم مثل مأرب وشبوه والجوف وآثار بعض القصور

8- حرفة دباغة الجلود: وكانت مدينة صعدة وجرش وشبوه من حواضر اليمن القديم التي اشتهرت بدباغة الجلود، فصُنع منها الأحذية وقرب المياه وسروج الخيل وغيرها من المصنوعات.

9- النجارة: حيث صنع من الخشب العديد من الأدوات المنزلية وصنع منه الأسقف الخشبية والأبواب والشبابيك وبعض المكاييل.

10- حرفة النحت: وهي حرفة كانت ذات أهمية كبيرة ولم تنشأ من فراغ، ولكن عبر مراحل طويلة استطاع فيها النحات اليمني أن يظهر مدى براعته في نحت الأشكال ثلاثية الأبعاد للتماثيل البشرية أو الحيوانية الحجرية ثم البرونزية.

11- حرفة التجارة: شهدت اليمن حركة تجارية واسعة براً وبحراً وكانت لها محطات تجارية متعددة، حيث كانت تجارة البخور والمر تحضى باهتمام بالغ من قبل الحضارات القديمة وكانت اليمن محط أنظار العالم القديم.

الخاتمة:

- شهد اليمن القديم قيام حضارة عظيمة بلغت أوج قوتها في دولة سبأ ومعين وقتبان وأوسان وحضرموت وحمير، وعرفت تقدم حضاري على مختلف المستويات الزراعية والتجارية والفكرية.
- عرف اليمن القراءة والكتابة وكان لهم نوعين من الخطوط الأول خط مقدس يُكتب على الأحجار والصخور وهو الخط المسند، وخط شعبي كتبوا فيه الشؤون العامة والحياة اليومية وهو خط الزبور وكان يكتب على جريد وعسيب النخل.
- عرفت المرأة اليمنية القراءة والكتابة، وكانت تتولى مناصب هامة في الدولة نمها منصب نائبة للملك وملكة وخازنة لبيت المال.
- أُقيمت أماكن للدراسة تمثلت في أجزاء من المعابد وكان المعلمون هم الكهنة.
- قامت في اليمن العديد من الحرف والصناعات وتطورت بعض الحرف بشكل ملحوظ مما يعني وجود أماكن للتدريب المهني والحرفي.
- عرف اليمن القديم الحساب والرياضيات وعلم الفلك والتحنيط، الأمر الذي يشير إلى وجود مدرسة طبية تعليمية.
- ارتبط اليمن بعلاقات تجارية واسعة مع الحضارات المجاورة، مما يشير إلى تعلمهم للغات الأخرى.

ملحق الأشكال

شكل رقم (1) حروف الخط المسند وما يقابلها

شكل رقم(2) طريقة تجهيز الأحجار للكتابة الصوره من عمل الباحث معمر الشرجبي

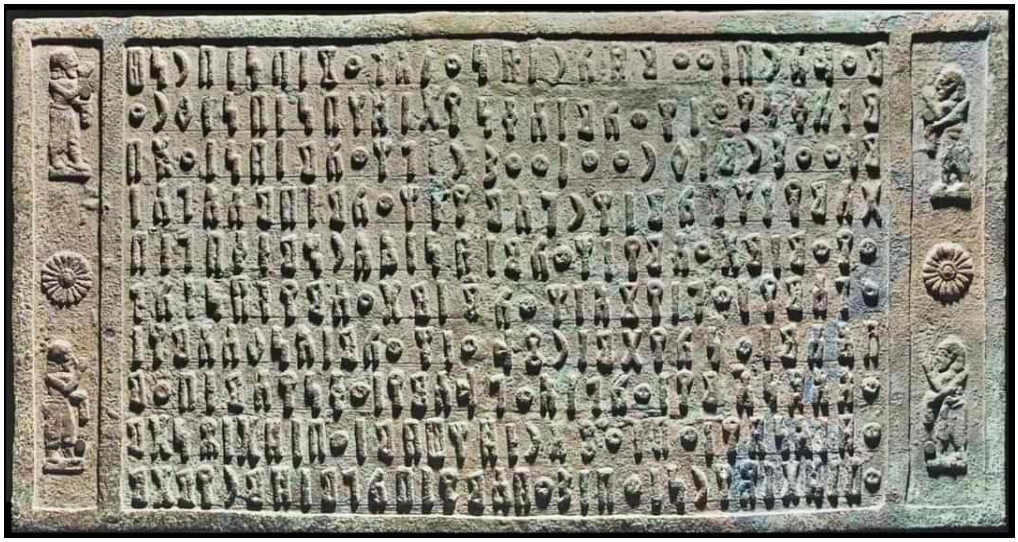

شكل رقم 3 الكتابة على الألواح البرونزية

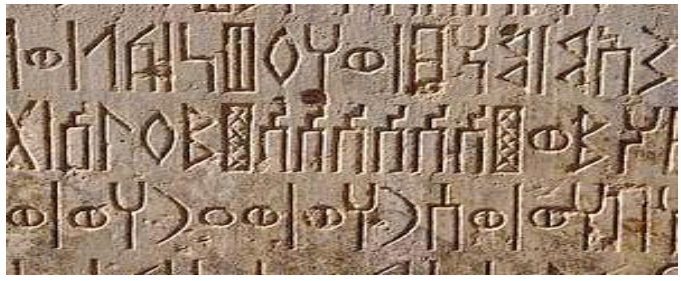

شكل رقم 4 الأرقام و الاعداد

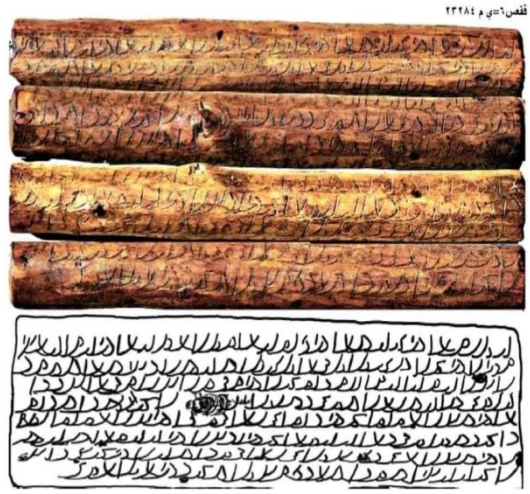

شكل رقم 5 أشكال خط الزبور عن الباحث فقعس

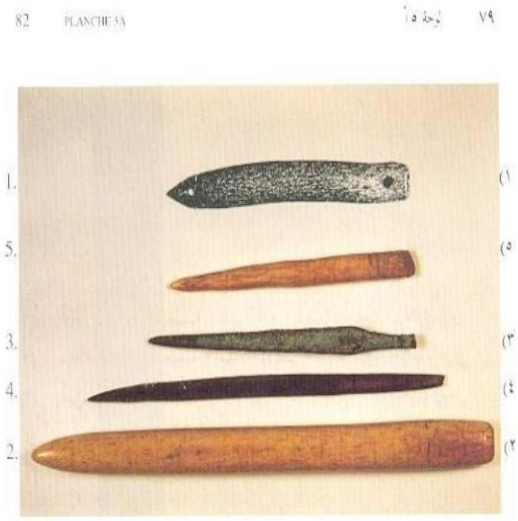

شكل رقم 6 اقلام خط الزبور عن يوسف محمد عبدالله

شكل رقم 7 تمثال برونزي للكاهنه برأت

المراجع:

1. ابن خلدون، عبدالرحمن، مقدمة ابن خلدون، ص87
2. ابن دريد، أبو بكر، 2005، جمهرة اللغة، ص250.
3. أحمد، سعد مرسي، 1972، تاريخ التربية والتعليم، ص79.
4. الإرياني، مطهر علي، 1986، مجلة دراسات يمنية، نقش جديد من مأرب، العدد (25، 26)، ص77.
5. اسماعيل، عبدالرحمن سيف، 2010، موجز تاريخ التعليم في اليمن، ص23.
6. الأصفهاني، أبو فرج، 2000، الأغاني، ج22، ص346.
7. البريهي، إبراهيم بن ناصر، 2000، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، السعودية، ص27.
8. بن منبه، وهب، 1979، كتاب التيجان في ملوك حمير، الطبعة الثانية، صنعاء، ص63.
9. بن يحيى، عزة عقيل، 2010، البرونز في اليمن القديم، ص20، 21.
10. بيستون، الفريد وآخرون، 1989، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، ص183.
11. الحاج، أحمد علي، 2008، مسيرة التعليم والتدريب المهني والتقني في اليمن، ص51، 52.
12. الحاج، أحمد علي، 2013، أصول التربية، ص297.
13. الحاج، أحمد علي، 2013، أصول التربية، ص78.
14. الحداد، فتحي عبدالعزيز، 2003، مجلة الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، مصر، المرأة في اليمن القديم، ص443، 445.
15. الحميري، نشوان بن سعيد، 1985، ملوك حمير وأقيال اليمن، ص128.
16. الرشدان، عبدالله، 2006، المدخل إلى التربية والتعليم، ص95.
17. الزوزني، الحسين بن أحمد، 2016، شرح المعلقات السبع، ص207.
18. شتكات، جيرمي + شارلو، جيوم، 2020، اليمن موطن الآثار، الجزء الثاني عصور ما قبل التاريخ، ص75.
19. شعلان، عميده ، 2004، مجلة الإكليل، العدد 28، الدور الإجتماعي للمرأة في اليمن القديم
20. صالح، عبدالعزيز، 2010، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، ص30.
21. الصلوي، إبراهيم، 2008، حولية أبجديات، مكتبة الإسكندرية، نقوش المسند والزبور، العدد 3، ص62.

22. عامر، جمال سليمان، 2005، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مصر، ص22.
23. عقاب، فتحية حسين، 2009، مجلة أدوماتو، العدد 20، معرفة المرأة للكتابة في مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام من القرن 3 ق.م إلى 7م، ص64، 65.
24. عقيل، محمد، 2005، أبجدية القرآن من مملكة سبأ، ص23، 24
25. العمري، هادي صالح، 2003، طريق البخور القديم من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، بغداد، ص187، 188.
26. غانم، ابتسام، 2019، الفكر التربوي وتطوراته عبر التاريخ الإنساني، مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، مجلة 2، عدد 1 مارس، 2019 .
27. الفرح، محمد حسين، 2004، الجديد في تاريخ وحضارة سبأ وحمير، الجزء الأول، ص27، 28.
28. مرقطن، محمد، 2004، مجلة المسند، نقوش الزبور، ص70.
29. مرقطن، محمد، 2004، مجلة المسند، نقوش الزبور، ص71.
30. هزيم، رفعت محمد، 2015، العربية في جنوب الجزيرة العربية حتى ظهور الإسلام، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 3، ص645
31. الهمداني، ابو حسن، 2004، الإكليل، الجزء العاشر من أخبار اليمن وأنساب حمير، ص30.
32. الهمداني، ابو حسن، 2004، الإكليل، الجزء الثامن من أخبار اليمن وأنساب حمير، ص147.
33. الهمداني، ابو حسن، 2004، الإكليل، الجزء الثامن من أخبار اليمن وأنساب حمير، ص29.
34. الهوريني، نصر أبو الوفا، 2005، المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، ص57
35. ولفنسون، إسرائيل، 1980، تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، بيروت، ص224.
36. محاسيس،نجاة سليم، 2010،مفاتيح علم التاريخ، ص97،98